التضاد:

في اللغة كما جاء في كتاب العين أن الضد((كل شيء ضادّ شيئا ليغلبه،والسواد ضد البياض والموت ضد الحياة،تقول:هذا ضِدُّه،وضَديدُه،والليل ضد النهار،إذا جاء هذا ذهب ذاك،ويجمع على الأضداد))[١] ،فالذي يفهم من كلام الفراهيدي أن المتضادين لا يجتمعان في مكان واحد أو زمان واحد،وعرّفه أبو الطيب اللغوي((وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن. وليس كل ما خالف الشيء ضدا له؛ ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان، وليسا ضدين؛ وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم. فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين))[٢].وهو نوع من المشترك اللفظي، فكل تضاد مشترك وليس العكس [٣] ،والمشترك ((يدل على عدة معان، ولا يلزم أن تكون متضادة، أما المتضادة فيدل على معنيين، ولا بد أن يكونا متضادين))[٤] .

وهو قليل في كلام العرب[٥]،وعلى ضآلة مقداره، أصبح وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب، ووسع من دائرة التعبير في العربية، وهو من خصائص العربية في مرانتها وطواعيتها في التنقل بين السلب والإيجاب[٦].

والتضاد نوع من العلاقة بين المعاني، وربما كانت أقرب العلاقات

---

(١) العين (ضد).

(٢) الأضداد ٣٣٠

إلى الذهن من أية علاقات أُخر. فمجرد ذكر معنى معين، يحضر إلى الذهن المعنى المضاد له، كلفظ البياض يستحضر في الذهن السواد، والخير والشر، والحق والباطل، والليل والنهار[١].

وبما أن التضاد نوع من المشترك اللفظي، فقد اختلف الباحثون في وروده في اللغة العربية. فأنكره بعض العلماء ورأس هذا المذهب ابن درستويه، الذي ذهب إلى أن العرب لا يأتون باسم واحد للشيء وضده، وقد وضع كتابا سماه(إبطال الأضداد) [*]، وذهب فريق آخر إلى كثرة وروده، ومن هؤلاء الخليل وسيبويه وأبو عبيدة والأصمعي وابن السكيت وابن فارس والثعالبي وابن سيده وغيرهم[٢] .

ويُشترط اتحاد الكلمة ومتعلقاتها في المعنيين؛لان أي تغيير فيها، أو في متعلقاتها، يخرجها عن كونها بذاتها تحتمل المعنيين المتضادين، فلا يعد من الأضداد (راغ على) بمعنى أقبل، و(راغ عن) بمعنى ولّى ،وليس منه(تَرِب الرجل)بمعنى افتقر، و(أترب) بمعنى استغنى وغيرها[٣].

العوامل التي تؤدي إلى التضاد[٤]:

١-اختلاف اللهجات: قد يكون المعنى الأصل للكلمة عاماً، ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات، كما يتخصص في اتجاه مضاد في

---

(١) في اللهجات العربية:١٧٩.

(*) لم يصل إلينا هذا الكتاب.

(٢) المزهر:١/٣٠٦.

(٣) فصول في فقه العربية:٣٤٠.

(٤) المزهر:١/٣٠٦ ، فقه اللغة (وافي) :١٥١-١٥٢، فصول في فقه العربية :٣٤٢ ، فقه اللغة العربية وخصائصها :١٨٣-١٨٥.

لهجة أخرى. نحو كلمة (السُّدفة) في لهجة تميم: الظلمة،وفي لهجة قيس: الضوء.والمعنى العام للكلمة السِّتْر،و(لمق)في لهجة بني عقيل كتبته،وفي لهجة قيس محوته.

٢- التفاؤل: التفاؤل والتشاؤم من غرائز الإنسان، فهناك كلمات تعبر عن الموت والأمراض والمصائب يفر منها الإنسان، ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى، قريبة إلى الخير.وتسمى هذه الظاهرة (اللا مساس أو الحَظْر) وهو ترجمة لكلمة: taboo وتطلق على كل مقدس يحرم لمسه، أو الاقتراب منه.

ويمكن تفسير كلمات على هذا النحو،مثل(السليم) يطلق في العربية على الصحيح وعلى اللديغ. واشتقاقه من السلامة يؤكد أصالة المعنى الأول. وإطلاقه على اللديغ، جاء على التفاؤل بسلامته، ولفظ (الناهل) تطلق على الريّان وعلى العطشان. واشتقاق النهل من ورود الماء والشرب، ومنه (المنهل) بمعنى: المورد، يؤكد أصالة المعنى الأول. أما العطشان فقيل له: ناهل، على التفاؤل بالري.

٣- التهكم: عامل التهكم والسخرية من العوامل التي تؤدي إلى قلب المعنى، وتغيير الدلالة إلى ضدها في كثير من الأحيان، فأصل كلمة (التعزير) التعظيم ومنه قوله تعالى:﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ الفتح ٩،غير أنها تستعمل في معنى التأديب واللوم تهكماً واستهزاءً بالمذنب.

٤- التطور الصوتي: توجد كلمتان مختلفتان لهما معنيان متضادان، فتتطور أصوات إحداهما، بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تماما، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان متضادان، من أمثلة

ذلك (تلحلح) بمعنى أقام، وزال، فالمعنى الثاني كان في الأصـــل لكلمة أخرى هي (تحلحل)، ثم حدث قلب مكاني فقدمت اللام وأخرت الحاء.

٥- المجاز والاستعارة: أوضح مثال لهذا العامل هو إطلاق كلمة (الأُمة) على الجماعة وعلى الفرد، فالفرد لا يقال له (أمة) إلا على التشـــبيه بالجماعة على وجه المبالغة، فيقال عن هذا العالم (كان أمة وحده) بمعنى أنه كان في رجحان عقله، وحدة ذكائه جماعة بأسرها.